﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمۡتُمۡ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحۡمَةٍۚ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ٤٩﴾ [الأعراف: 49]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

لَـفْـتُ نَـظَـرِ أَصْـحَـابِ الأَعْـرَافِ، إلى المُستضعَفين المحتَقَرين من أهـلِ الـجَـنّـةِ، وحُـسْـنِ مَصيرِهم

لمّا أخبرَ اللّهُ ﷻ عَن أصحابِ الأعْراف في الآية السّابقة أنَّهم كلَّموا أصحابَ النّارِ بكلامٍ متضمِّنٍ التَّوْبيخَ واللَّوْمَ، فقالَ سُبحانَهُ: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٗا يَعۡرِفُونَهُم بِسِيمَٰهُمۡ قَالُواْ مَآ أَغۡنَىٰ عَنكُمۡ جَمۡعُكُمۡ وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ﴾؛ أخبرَ ﷻ في هذه الآية عن تتمَّةِ تَوْبيخِ هؤلاءِ وتَقْريعِهم وتَحْزينِهم والإنْكارِ عَلَيْهِمْ.(1).

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿أَقۡسَمۡتُمۡ﴾: القافُ والسِّينُ والميمُ تدلُّ كثيرٌ مِنْ تصاريفِها على معنى تجزئةِ الشَّيءِ(2)، وَمِنْهُ: القَسَمُ باللّهِ، وهوَ الحَلِفُ بِهِ، كأنَّ الحالفَ جَعَلَهُ مِن نَصيبِهِ، أيْ: معَهُ، بمعنَى: أشْهَدَهُ عَلَى ما يَقُولُ(3)، أو أنَّ أصلَ القَسَمِ الذي بمعنَى الحَلِفِ: أنَّهُ مِنَ القَسامَةِ، وَهِيَ أيمانٌ تُقْسَمُ على أوْلِياءِ المَقْتُولِ، ثُمَّ أُطْلِقَ على كُلِّ حَلِفٍ(4)، وهو المرادُ بقولِ اللّهِ تعالَى: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمۡتُمۡ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحۡمَةٍۚ﴾ أي: حَلَفْتُمْ.

2) ﴿خَوۡفٌ﴾: الخاءُ والواو والفاءُ تدورُ اشتقاقاتُها على معنى الذُّعْرِ والفَزَعِ(5)، ومِنْهُ الخَوْفُ، وهُوَ ضدُّ الأمْنِ(6)، وحقيقتُهُ: أنَّهُ غَمٌّ يَلْحَقُ العبدَ مِنْ توقُّعِهِ المكروهَ(7)، فهو خاصٌّ بالزَّمن المُسْتَقْبَل(8).

(1) البقاعيّ، نظم الدرر: 7/407.
(2) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (قسم).
(3) جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (قسم).
(4) الرّاغب، المفردات الكريم: (قسم).
(5) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (خوف).
(6) ابن دُريد، جمهرة اللُّغة: (خوف).
(7) الكفويّ، الكلّيّات، ص: 428.
(8) الشّنقيطي، العذبُ النَّمير: 1/284.

3) ﴿تَحۡزَنُونَ﴾: الحاءُ والزّاي والنُّون تَدُور تصريفاتُها على معنى خُشُونةِ الشَّيءِ والشِّدَّةِ فِيهِ[1]، وَمِنْهُ: الحَزَنُ: وهو الغِلَظُ مِنَ الأرضِ[2]، والحُزْنُ: وهو ضدُّ الفَرحِ والسُّرور؛ لأنَّه شِدَّةٌ تَعْتَرِي قلبَ الإنْسانِ[3]، وحقيقَةُ الحُزْنِ: غَمٌّ مِن أمرٍ فائتٍ[4].

❁ المعنى الإجْماليُّ:

تنبيهُ أهلِ الأعرافِ إلى الضُّعفاءِ والفُقراءِ المؤمنين، كيفَ صارُوا لا خوفٌ عليهم ولا تَحزينٌ

بيَّن اللّه في هذه الآية أنَّ أهل الأعراف يقولون لأولئك الكفّار الذين في النّار: أهَؤُلاءِ الضُّعَفاءُ والفُقَراءُ مِنْ أهْلِ الجَنَّةِ الذينَ أقْسَمْتُمْ في الدُّنْيا: إنَّ اللّه سُبحانَهُ لا يَشْمَلُهم يَوْمَ القيامَةِ بِرَحْمَةٍ، ولَن يُدْخِلَهُمُ الجَنَّةَ؟ فقَدْ غَفَرَ اللّه لَهم، ورَحِمَهم بِواسِعِ فضْلِه ورَحْمَتِه. ويقال لأصحاب الأعراف: ادخُلوا يا أصْحابَ الأعْرافِ الجَنَّةَ، لا خوْفٌ عَلَيْكُمْ بعدَها مِن عُقوبَةٍ تُعاقَبونَ بِها على ما سلَفَ مِنْكُمْ في الدُّنْيا مِنَ الآثامِ والإجْرامِ، ولا أنْتُمْ تَحْزَنونَ على شَيْءٍ فاتَكُمْ مِنْ حظوظِ الدُّنيا[5].

وترشدُ الآية الكريمةُ إلى تحقُّقِ ما رجاهُ القومُ الذين استوَتْ حسناتُهم وسيئاتُهم - وكانوا على الحاجز العظيم بين الجنَّة والنارِ، الذي يُقال له الأعرافُ - من نَيْل رحمةِ اللّه تعالى لهم والإنعامِ عليهم بدخولِ الجنة؛ فإنَّ اللّه الكريمَ المنّانَ لم يجعلِ الطَّمعَ في قلوبهم إلّا لما يريدُ بهم من كَرامتِه سبحانه.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

عِلَّةُ فَصْلِ قَوْلِه تَعالَى: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ﴾ عَمّا قَبْلَهُ:

الدِّفاعُ عَنْ أَصْحابِ الجَنَّةِ، بَعْدَ تَبْكِيتِ أَصْحابِ النّارِ

فُصِلَ قولُ اللّه سُبحانَهُ: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمۡتُمۡ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ

(1) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (حزن).
(2) ابن دُريد، جمهرة اللُّغة: (حزن).
(3) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (حزن).
(4) الشّنقيطي، العذبُ النَّمير: 4/462.
(5) ابن جرير، جامع البيان: 12/472، ونخبة من العلماء، التّفسير الميسّر، ص: 156.

بِرَحْمَةٍ﴾ عمّا قبلَهُ؛ لِما بينَهُما من كمالِ الانقطاعِ، وذلك لِاخْتِلافِ الجملَتَيْنِ خبرًا وإنشاءً، فقولُ الله تعالى: ﴿قَالُواْ مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ جملةٌ خَبَريَّةٌ، وقولُهُ سُبحانَهُ: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍ﴾ جملةٌ إنشائيَّةٌ؛ إذْ هي استفهامٌ، وليسَ هذا الفصلُ مِمّا يوهِمُ خلافَ المقصودِ.

سِرُّ التَّعْرِيفِ بِاسْمِ الإشارَةِ (هَؤُلاءِ):

تَمْيِيزُ أَصْحابِ الجَنَّةِ أَكْمَلَ تَمْيِيزٍ؛ تَسْجِيلًا عَلَى أَصْحابِ النّارِ

عُرِّفَ المسنَدُ إليه بالإشارَةِ في قَوْلِ الله ﷻ: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ﴾ للتَّسجيلِ على أصحابِ النّارِ بتقريرِ المسنَدِ إليه وإيضاحِهِ وتمييزِهِ أكملَ تَمْييزٍ؛ ليَرِدَ قولُه تعالى بَعْدُ: ﴿ٱدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ﴾ نقضًا لذاتِ دَعْواهُمُ الباطِلَةِ بقسَمِهم بأنَّ هؤلاء الفقراء أتباعَ النبيّين لن ينالهم الله برحمةٍ من عنده؛ بناءً على ازدرائهم لهم في الدُّنيا.

دَلالَةُ الِاسْتِفْهامِ ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ﴾:

قَسَمُ الكَفَرَةِ عَلَى مَنْعِ اللهِ تَعالَى رَحْمَتَهُ عَنْ عِبادِهِ: جَراءَةٌ مِنْهُمْ عَلَى مَقامِ الرُّبُوبِيَّةِ

الاسْتِفْهامُ في قولِ الله سُبحانَهُ: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ﴾ ليسَ على حَقيقتِهِ مِن إرادَةِ طلبِ العِلْمِ بشيءٍ لَمْ يكُنْ معلومًا مِنْ قبلُ، وإنَّما المرادُ به التَّوبيخُ والتَّقريعُ والتَّحزينُ[1]، وذلك كلُّه متضمِّنٌ الإنكارَ عليهِمْ؛ إذْ كيفَ تَجَرَّؤوا على مَقامِ الرُّبوبيَّةِ بالإقْسامِ على مَنْعِ اللهِ تعالى رَحْمَتَهُ عَنْ عِبادِهِ!! وهذا مزيدُ تقريعٍ وتوبيخٍ لهم بأن يقال لهم: أهُمُ الذين ترونهم رأيَ العين في رحمة الله تعالى في جنَّة الخُلد، فكأنَّ ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ﴾ وظيفتُها الإشارةُ إلى هؤلاء الضعفاء في زعمهم، فهُم اليوم في جنَّة الخُلد.

سِرُّ التَّعْبِيرِ عنِ الفُقَراءِ والضُّعَفاءِ من أهْلِ الإيمانِ بالقَسَمِ:

مَقامُ الإيمانِ مآلُهُ، إعْلاءُ صاحِبِهِ وإكرامُه في الدّارَيْن

قوله: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ﴾، عبَّر فيه القرآنُ الكريمُ عن هؤلاء الفقراء والضُّعفاء من أهلِ الإيمان بهذا التَّعبيرِ الموصوفِ؛ ليُعليَ من

(1) البقاعيّ، نظم الدرر: 7/407.

قدرهم، ولينفيَ عنهم ما زعمه الكفّارُ في الدُّنيا من ضَعفهم وعدم الاكتراثِ بهم؛ فلم يُرِد أن يلحقَ بهم هذا الوصفُ المزعوم الذي أطلقَهُ مرَدةُ الكفّار؛ جَبرًا لخواطرهم، وتبكيتًا لقادة الكفرِ الذين افتَروْه عليهم؛ لذلك جاء التَّعبيرُ باسمِ الإشارة وجملةِ الصِّلة؛ ليبيِّن علوَّ منزلتهم في الآخرة، وردًّا على الذين كانوا يُقسِمون بأنَّ هؤلاءِ الفقراءَ لن ينالهم اللّه برحمةٍ من عنده.

سِرُّ التَّعْبيرِ بالقسَمِ في قوله: ﴿أَقْسَمْتُمْ﴾:

بـذلُ الكفّارِ أقصَى المحاولاتِ في إضْعافِ رُوحِ الإيمانِ عندَ المؤمنينَ

عبَّر القرآنُ الكريم بالقَسَمِ في قوله: ﴿أَقْسَمْتُمْ﴾؛ لبيان موقف المشركينَ من أتباع الرَّسول ﷺ الَّذين وعدَهُم بالثَّواب من عند اللّهِ تكريمًا لهم؛ فأراد الكفّار أن يُكذِّبوا الأنبياء في وعدِهم لهم بالجنَّة في الآخرة بهذا القسَم الَّذي يظنّون أنَّهم به صادقون.

ولإظهار تصلُّبِهم واعتقادِهم أنَّهم لا يُخامرهم شكٌّ في أنَّ هؤلاءِ الضُّعفاءَ لا ينالهم اللّه برحمةٍ[1].

دَلالةُ التَّعْبيرِ بصِيغةِ الجمْع في القسَمِ ﴿أَقْسَمْتُمْ﴾:

رِضا أهْلِ الكُفرِ عمومًا بإهانةِ المؤمنينَ

عبَّر القرآنُ الكريم بصيغة الجمع في القسَمِ الصادر عن الكفارِ في ﴿أَقْسَمْتُمْ﴾، وإن كان هذا القَسَمُ قد وقع من بعضِهم، وهم أئمّةُ الكفر وقادتُه؛ لأنَّ أهلَ ملّةِ الكفر على وجهِ العمومِ رضوا بذلك، وأقرّوا كُبراءَهم على هذا الادِّعاء الكاذب؛ فاعتبرَ القرآنُ رضا الجميعِ وعدمَ إنكارِهم على عتاتهم، من باب موافقتهم فيما يقولون.

دَلالَةُ النَّفْيِ في قَوْلِه: ﴿لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍۚ﴾:

إبطالُ زَعْمِ الكفَّارِ في نفْيِ الرَّحمةِ عنِ المؤمنينَ

النَّفْيُ بـ (لا) في قولِ اللّه ﷻ: ﴿لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍۚ﴾ مُسلَّطٌ في كلامِهِمْ على مُراعاةِ نَفْيِ كلامِ يقولُهُ الرَّسولُ ﷺ أو المؤمنونَ، ووجهُ ذلك: أنَّ بِشاراتِ القرآنِ الكَريمِ لأولَئِكَ الضُّعفاءِ، ووَعْدَهُ إيّاهُم

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/146.

بالجَنَّةِ، مُنَزَّلٌ مَنْزِلَةَ كلامٍ مُفادُهُ: أنَّ اللّه تعالى أصابهم برَحْمَةٍ منه، فكانَ في نفيهم نيلَ اللّهِ تعالى هَؤُلاءِ برحمةٍ: ضَرْبٌ مِنْ ضُروبِ المشاكلَةِ لِلَفْظٍ مُقدَّرٍ، كما هو أحدُ صورَتَي المُشاكَلَةِ؛ فإنَّها: ذِكْرُ الشَّيْءِ بِلَفْظِ غَيْرِهِ؛ لِوُقوعِهِ في صُحْبَتِهِ تَحْقيقًا أو تَقْديرًا[1].

بَلاغَةُ الاستعارَةِ التَّصريحيَّةِ التَّبعيَّةِ:

في قولِ اللّه ﷻ: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍۚ﴾ اسْتِعارَةٌ؛ إذ شُبِّهَ إيواءُ اللّهِ تعالى إيّاهم في الجنَّةِ بالنَّيْلِ؛ وهو حُصولُ الأمرِ المَحْبوبِ المبْحوثِ عنه، فأُطْلِقَ على ذَلِكَ الإيواءِ فِعْلُ النَّيْلِ، على سَبيلِ الاستعارَةِ التَّصريحيَّةِ التَّبعيَّةِ، وجُعِلَتِ الرَّحْمَةُ بمنزلَةِ الآلَةِ لهذا النَّيْلِ[2]، ونُكْتَةُ الاستعارَةِ المبالَغَةُ في نفي رحمَةِ اللّه تعالى لَهَؤُلاءِ؛ بحيثُ إنَّ هذه الرَّحْمَةَ المُسداةَ لهم من ربِّهم الرحمنِ تطلبُهم، وهم كالفارّينَ مِنْها.

بيانُ مُبالَغَةِ أَصْحابِ النّارِ في الدُّنْيا، في نَفْيِ رَحْمَةِ اللهِ تَعالَى بِالضُّعَفاءِ مِنَ المُؤْمِنِينَ

دَلالَةُ الباءِ ﴿بِرَحْمَةٍۚ﴾:

الباءُ في ﴿بِرَحْمَةٍۚ﴾ من قولِ اللّه ﷻ: ﴿لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍۚ﴾ للآلَةِ، فتَكونُ الرَّحمَةُ بمنزلةِ الآلَةِ والوسيلةِ لهذا النَّيل، ويجوزُ أن تكونَ الباءُ لِلْمُلابسَةِ، فتكون الرَّحْمَةُ مُلابِسَةً للنَّيْلِ، شاملةً لإكرام اللّه لهم بدخول الجنَّة ومنازلها[3].

بَيانُ كَوْنِ الرَّحْمَةِ مُلابِسَةً لِلنَّيْلِ المَذْكُورِ وَآلَةً لَهُ

دَلالَةُ المَجازِ المُرْسَلِ المُرَكَّبِ:

جملةُ ﴿لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍۚ﴾، المحكيَّةُ عنْ أصحابِ النّارِ إقسامُهم عَليْها جملةٌ خبريَّةٌ، لا يُرادُ بها مُطْلَقُ الإخبار، وإنَّما المرادُ لازِمُ ذلك: وهو التَّهَكُّمُ بضعفاءِ المؤمنينَ في الدُّنيا[4]؛ حيثُ لم يَرَوْهم أهلًا لنَيْلِ رَحْمةِ اللّه تعالى، فكانَتِ الجُمْلَةُ مَجازًا مُرْسَلًا مُرَكَّبًا.

مَقاييسُ أَهْلِ الكُفْرِ في مَعْرِفَةِ أَقْدارِ النّاسِ، تَتَعَلَّقُ بِمَظاهِرَ دُنْيَوِيَّةٍ

(1) الصَّعيدي، بغية الإيضاح: 4/588.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/146.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/147.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/147.

نُكْتَةُ الإِظْهارِ فِي مَحَلِّ الإِضْمارِ:

جُـرأةُ الكفَّارِ في التَّضْييقِ على أهْـلِ الإيـمـانِ بِـمُـجَـرَّدِ هـوَى النُّفُوسِ

في قولِ اللهِ ﷻ: ﴿لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍۚ﴾ إظهارٌ في مَوْضِعِ الإضمار، وذَلِكَ أنَّ جملةَ ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍۚ ٱدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ﴾ مِنْ قولِ اللهِ تعالى لأصحابِ النّارِ تبكيتًا لَهم وتقريعًا، فكان مقتضَى الظّاهرِ أن يَرِدَ النَّظْمُ القرآنيُّ: (أهؤلاء الذين أقسمْتُم لا أنالُهم برحمةٍ)، فأُظْهِرَ المسنَدُ إليهِ، وجيءَ بهِ معرَّفًا بالعلَميَّةِ - بالاسْمِ الأحسنِ (اللهِ) - مبالغَةً في تقريعِهِمْ وتَبْكيتِهم؛ إذْ إنَّ اسمَ (اللهِ) دالٌّ على مَنْ لَهُ صفاتُ الكَمالِ والجمالِ والجَلالِ، ومِنْ جملَةِ تلكَ الصِّفاتِ الكاملَةِ: رَحْمَتُهُ سُبحانَهُ[1]، فقَبيحٌ بأحدٍ مِنَ الخَلْقِ أن يتجرَّأَ على هذه الصِّفةِ وغيرِها من الصِّفاتِ الإلهيَّةِ بالحَجْرِ والتَّضْييقِ، بمجرَّدِ مشْتَهَياتِ النُّفوسِ وأهوائها.

سِرُّ إِيثَارِ التَّعْبِيرِ بِالرَّحمةِ دونَ غيرِها:

الـرَّحـمـةُ بـابٌ واسِـــعٌ يَـعـمُّ الـجـمـيـعَ، ويَنتفعُ به كلُّ مَنْ رَحِمَه الله

قوله: ﴿لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍۚ﴾، آثرَ القرآنُ الكريم التَّعبيرَ بالرَّحمة؛ لأنَّها تُطلق على أبوابٍ من الخير كثيرةٍ؛ فهي في الدُّنيا تأتي بمعنى (الرِّزق، النَّصر، العافية، التَّوفيق، غيثِ المطر) إلى غير ذلك من المعاني الَّتي تحملُ بشاراتٍ وافرةً من الخير، وفي الآخرة تأتي بمعنى الجنَّة، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِۖ﴾ [آل عمران: 107] يعني في الجنَّة؛ وفي ذلك إشارةٌ إلى أنَّ جبابرةَ الكفارِ لا يريدون لضَعَفةِ المؤمنين خيرًا في الدُّنيا ولا في الآخرة.

سِرُّ تَنْكِيرِ لفْظِ (رَحْمَةٍ):

ضَـلالُ أَفْـهـامِ الـكُـفّارِ، وَأَفَـنُ عُقُولِهِمْ

في قَوْلِ اللهِ تعالى: ﴿لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍۚ﴾، نُكِّرت كَلِمَةُ (رَحْمَةٍ) مِنْ قَوْلِ اللهِ سُبحانَهُ حكايةً لمقالَةِ أصحابِ النّارِ التي قالوها في الدُّنيا: ﴿لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍۚ﴾؛ لإرادةِ التَّصغيرِ، أي: إنَّهم أقسَموا أنَّ اللهَ ﷻ لا ينالُهم بأيِّ رحمةٍ مَهْما صَغُرَتْ. ويَجوزُ أن يكونَ التَّنكيرُ

(1) البقاعيّ، نظم الدرر: 7/407.

لإفادَةِ العُمومِ؛ لوُرودِها في سياقِ النَّفْيِ، فيكونَ نفيُهُم واقعًا على كلِّ رحمةٍ صغيرةً كانت أو عظيمَةً، وعلى الوَجْهِ المتقدِّمِ يكونُ النَّفْيُ لِصَغيرِ الرَّحْمَةِ، ويُستفادُ نفيُ عَظيمِها بطريقِ الأولَويَّةِ والأحْرَويَّةِ.

وهذا مِن عَظيمِ جراءَتِهم على مقامِ الرُّبوبيَّةِ، وهو من أفَنِ عقولِهم، وضلالِ أفهامِهم؛ إذْ ظنّوا أنَّ مَن ينالونَ قوَّةً وثراءً في الدُّنيا؛ ينالونَها في الآخرةِ إن وُجدَتْ[1].

دَلالةُ عَدَمِ ذِكْرِ القَولِ قبلَ قولِه: ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ﴾:

جاء التعبيرُ القرآنيُّ ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ﴾ من غير ذِكرِ القول أو النِّداء بأن يُقال لهم: ادخلوا الجنَّة مع أنَّ السّياق في هذا المشهد مبنيٌّ على الحوار والمناداة، فلم يَرِد القولُ - سواءً كانَ خِطابًا مِنَ اللهِ لأهْلِ الأعْرافِ، أو كانَ خِطابًا مِنَ اللهِ لأهْلِ الجَنَّةِ[2] - ليعجلَ بالبشارة لأهل الإيمانِ المعنيّين في الخطابِ بدخول الجنة: ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ﴾، فأراد تقصيرَ الزَّمن بحذفِ فعل القول استعجالًا للبشارة.

حَـذْفُ الـقَـوْلِ لِتعجيلِ البِشارةِ لهم، فلا حائلَ بـيـنـهـم وبـين الدُّخولِ

ويحتمل أنْ يَكونَ الخطابُ المطويُّ نسبتهُ حاصلًا مِن أهْلِ الأعْرافِ لأهْلِ الجَنَّةِ؛ فعَلى هَذا الوَجْهِ يَكونُ مَعْنى قَوْلِ أهْلِ الأعْرافِ لأهْلِ الجَنَّةِ: ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ﴾، أي: اعْلوا إلى القُصورِ المُشْرِفَةِ، وارْتَفِعوا إلى المَنازِلِ المَنيفَةِ؛ لأنَّهم قَدْ رَأوْهم في الجَنَّةِ[3]. وفيه إشارةٌ إلى توجيهِ الخطاب - إلى هؤلاءِ الذين أقسَمَ الكفّار عليهم - من التَّحدُّث عنهم إلى الخطاب معهم.

بَراعَةُ التَّعْبيرِ بِدُخولِ الجَنَّةِ ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ﴾، في أثناء الآيةِ الكريمةِ:

أقْسَمَ أصحابُ النّار في دُنياهم ألّا ينالَ اللّهُ تعالى ضُعَفاءَ أهلِ الإيمانِ برحمةٍ، كما قالَ اللهُ سُبحانَهُ: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمۡتُمۡ لَا

نَـقْـضُ مَـقـالَـةِ أَصْـحـابِ الـنّـارِ، بِالدَّلِيلِ والبُرْهانِ

(1) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 6/2852.
(2) ابن الجوزي، زاد المسير: 2/125.
(3) الزَّجّاج، معاني القرآن وإعرابه: 2/343، وابن الجوزي، زاد المسير: 2/125.

يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحۡمَةٍۚ﴾، فرَدَّ اللهُ ﷻ عَلَيْهِمْ بإبطالِ مَقالَتِهم، فقال: ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ﴾، وأمَرَهُم بدخولِ الجنَّةِ نكايَةً في أهلِ النّارِ؛ لأنَّ ذلك أنْفَى لِما أقسَموا عَلَيْه[1]، لاشتمالِهِ على نقيضِ قولِهِم مقرونًا بالدَّليلِ، فكأنَّ المعنى: بل أنالُهم برحمةٍ مِنّي، والدَّليلُ على ذلك إدخالي إيّاهُمُ الجنَّةَ.

دَلالَةُ الأَمْرِ فِي قَوْلِ اللهِ تَعالَى: ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ﴾:

الأمْرُ في قولِ اللهِ ﷻ: ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ﴾ خَرَجَ عَن أصْلِهِ في الدَّلالَةِ على الإلْزامِ بالفِعْلِ؛ لِعَدمِ قُدرَةِ العبادِ على دُخولِ الجنَّةِ باخْتيارِهِم، ولانقِطاعِ التَّكليفِ في الآخِرَةِ، وإنَّما الأمْرُ في ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ﴾ يُرادُ به الإكرامُ، ولازِمُ ذلك إدخالُ الغَمِّ والحسْرَةِ[2] على أصحابِ النّارِ الذين احْتَقَروا هؤلاءِ الضُّعفاءَ مِنَ المؤمنينَ.

إكْرامُ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَإِدْخالُ الغَمِّ والحَسْرَةِ عَلَى أَصْحابِ النّارِ

ويجوز أن يكونَ الأمرُ مُرادًا به الدُّعاءُ؛ وذلك لأنَّ المشارَ إلَيْهِمْ بِـ (هَؤُلاءِ) هم ناسٌ مِنْ أهْلِ الجَنَّةِ؛ إذْ ذَلك الوَقْتُ قَدِ اسْتَقَرَّ فيهِ أهلُ الجنَّةِ في الجنَّةِ، وأهلُ النّارِ في النّارِ، فلمّا كان دخولُ كُلٍّ حاصِلًا، فكانَ الدُّعاءُ مرادًا به الدَّوامُ[3].

ويؤكِّد ذلك ما ذكره أبو زهرةَ بقوله: "وطلبُ الدُّخولِ هنا تقريرٌ للدُّخول؛ لأنَّهم دخلوا فعلًا، وما كان دخولهم بعد الطَّلب، إنَّما كان قبلَه، كما ترى إنسانًا في أرضٍ طيِّبةٍ، فينتفعُ وهو فيها، ويستحقُّها، تقول له: ادخُلْها وابقَ فيها"[4].

دَلالَةُ التَّعبيرِ بالضَّميرِ، في قوله: ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ﴾:

عبَّر بالضَّمير لتَعدُّد المراد فيه، فقيل: هم أصحابُ الأعراف،

(1) البقاعيّ، نظم الدرر: 7/407 - 408.
(2) القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 7/214.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/147.
(4) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 6/2853.

واللّهُ تعالى يقول لهم ذلك أو بعضُ الملائكة الَّذين يأمرُهم اللّهُ تعالى بهذا القول، وقيل: المرادُ أهلُ الجنَّة الذين وردَ ذِكرُهم في قوله: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمۡتُمۡ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحۡمَةٍۚ﴾، ويكون القائلُ ذلك لهم: ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ﴾ أصحابَ الأعراف[1].

الإضْمارُ ناسَبَ تَعَدُّدَ مَرْجِعِ الضَّمِيرِ

سِرُّ التَّعْبيرِ بالجنَّةِ فقط، دونَ ذِكْرِ أوصَافِها:

جاء التَّعبيرُ القرآنيُّ بلفظ الجنَّة من غير وصفٍ من باب استغراقِ أفرادِ الجنسِ، فيشملُ كلَّ أوصافِ الجنّات؛ لذلك ذهبَ العلماءُ في المرادِ باللّام في ﴿ٱلۡجَنَّةَ﴾ مِنْ قَوْلِ اللهِ ﷻ: ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ﴾ أنَّها لِلْعَهْدِ العِلْميِّ، وهيَ جنَّةُ الخُلْدِ التي أعدَّها اللّهُ سُبحانَهُ نعيمًا لأهل الإيمانِ، ويَجوزُ أن تكونَ اللّامُ للعَهْدِ الحُضوريِّ، أي: ادخلوا الجنَّة الَّتي هي حاضرَةٌ أمامَكُمْ، أو اسْتَمِرّوا على دخولِكُمُ الجنَّةَ التي أنتُمْ مستقرّونَ فيها وقتَ الخِطاب.

الجَنَّةُ دارُ الثَّوابِ والنَّعِيمِ لِأَهْلِ الإيمانِ

نُكْتَةُ نَفْيِ الخَوْفِ والحُزْنِ على عبادِه المستضعَفين في الجنّةِ:

في قَوْلِ اللهِ تعالى: ﴿لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ﴾، نُفيَ الخوفُ عن المُكَرَّمين بدخول الجنة بصيغةِ الاسْمِ في قولِه سُبحانَهُ: ﴿لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمۡ﴾، ونُفيَ الحُزْنُ عنهم بصيغَةِ الفِعْلِ في قولِه ﷻ: ﴿وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ﴾؛ لأنَّ متعلَّقَ الخَوْفِ أمْرٌ مستقْبَليٌّ، بِخلافِ مُتعلَّقِ الحُزْنِ فهو ماضٍ، والأُمورُ المستقبَلَةُ غيرُ مُتَناهيَةٍ، بخلافِ الأمورِ الماضيَةِ؛ فهيَ مُتَناهيَةٌ لانقطاعِها[2]، فكان الأوفقُ أن يُقال: (فلا حُزنٌ عليهم ولا يخافون)؛ فهو أرتَبُ ليعبِّر عن المستقبلِ بصيغة المستقبل، إلّا أنَّ النَّظمَ الكريمَ آثرَ الإشارةَ إلى تكرُّرِ الحزنِ منهم المرّةَ بعد المرّة؛ وتذكُّرُ الإنسانِ أمرًا مضى، أقربُ من تذكُّرِهِ أمرًا مستقبلًا، وتأسُّفُه على الماضي المحَّققِ الوقوعِ أشدُّ من حُزنِهِ

مُتَعَلَّقُ الخَوْفِ أَمْرٌ مُسْتَقْبَلِيٌّ، وَمُتَعَلَّقُ الحُزْنِ أَمْرٌ ماضٍ

(1) الفخر الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 7/295.
(2) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 2/227.

على المستقبل؛ لأنّه يتكرَّرُ تذكُّرُهُ الماضيَ شيئًا بعدَ شيء، بل فمهما تذكَّره يحزن عليه، فعبَّر عنه بالفعل المقتضي للتجدُّد، وليس كذلك المستقبل بوجه[1].

دَلالَةُ التَّعْبِيرِ بِالفِعْلِ المُضارِعِ ﴿تَحْزَنُونَ﴾:

عَظَمَةُ ما عِنْدَ أَهْلِ الجَنَّةِ مِنَ الخَيْراتِ

عُبِّر بالفِعْلِ المُضارِعِ في قَوْلِ اللّه سُبحانَهُ: ﴿وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ لنَفْيِ تُجدُّدِ الحُزْنِ عَلَيْهِمْ في وقتٍ مِن الأوْقاتِ على أيِّ شَيْءٍ فاتَ؛ وذَلِكَ لما عِنْدَهم مِنَ الخَيْراتِ التي لا تَدْخُلُ تَحْتَ الوَصْفِ لعظَمَتِها[2].

نُكْتَةُ تَعْدِيَةِ الخَوْفِ بِـ(عَلَى) فِي قَوْلِهِ: ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ﴾:

نَفْيُ اسْتِعْلاءِ الخَوْفِ عَلَى أَصْحابِ الجَنَّةِ أَوْ إِحاطَتِهِ بِهِمْ

عُدّيَ الخَوْفُ في قولِ اللّه ﷻ: ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ﴾ دون أنْ يَرِدَ النَّظْمُ القرآنيُّ: (لا خَوْفَ لَهُم) أو (لا خَوف عِنْدَهُم)؛ وذلك لِما في حَرْفِ الجرِّ (عَلَى) مِنَ الدَّلالة على الاسْتِعْلاءِ والإحاطَةِ، فيكونُ المَنْفيُّ: اسْتِعْلاءَ الخَوْفِ عَلَيْهِمْ وإحاطَتَهُ بهمْ.

سِرُّ اختِصاصِ نفْيِ الخوفِ والحُزنِ دونَ سِواهما:

الخوفُ والحُزْنُ أكثرُ ما يُنَغِّصُ بهجَةَ العَيْشِ

جاء التَّعبيرُ القرآنيُّ بنفيِ الخوفِ والحزنِ دون سِواهما؛ لأنَّ الإنسانَ يعيش بين حالتين: بين خوفٍ بما يتعلَّق بمستقبلِهِ من أمور الآخرة، وحزنٍ على ما فاتَ من أمورِ الدُّنيا، وهذا يؤدّي إلى عدمِ استقرارِ النَّفس؛ لذلك كانت منَّة اللّه على عبادِهِ المؤمنين بأنْ أراحَ نفوسَهُم من الحزنِ على الماضي، ومن الخوف على المستقبل.

دَلالَةُ تَقْديمِ الخوفِ على الحُزنِ في الآيَةِ الكريمةِ:

الخوفُ أشدُّ منَ الحُزْنِ، وأعتَى منه أثَرًا

قوله: ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ﴾، قدَّم نفيَ الخوفِ على نفي الحزنِ؛ لعِلْمِ اللّه ﷻ بطبيعةِ النَّفس الإنسانيَّة في حرصها على المصالح الدُّنيويَّة في قابل أيّامها، فهو شُغلها الشّاغلُ، أمّا ما

(1) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 1/266.
(2) البقاعيّ، نظم الدرر: 7/408.

كان في الماضي؛ فطبيعة النَّفس النِّسيان له، فسَرّعان ما تنسَى ما أصابها من حوادثَ فيما مضى.

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

(الخَوْفُ) و(الحُزْنُ):

الفَرقُ بينَ الخَوْفِ والحُزْنِ في متعلَّقَيْهما؛ فمُتعلَّقُ الخَوْفِ مستقبَلٌ، ومُتعلَّقُ الحُزنِ ماضٍ؛ وذلكَ أنَّ الخَوْفَ غَمٌّ مِن أمرٍ مستقبَلٍ، والحُزْنَ: غَمٌّ مِنْ أمرٍ قد مَضَى[1].

الـخَـوْفُ من مُـسـتـقـبَـلٍ، والـحُـزنُ على ماضٍ

وذكَر الشِّهابُ الخَفاجيُّ أنَّ الخوفَ أشدُّ مِنَ الحُزْنِ[2]، ووجهُهُ: أنَّ سببَ الحُزْنِ وقَعَ وانقَضَى، وإنَّما يتجَدَّدُ الغَمُّ به عِنْدَ تذكُّرِهِ، بخلاف الخَوْفِ؛ فإنَّ سبَبَهُ مُستقبَلٌ، وقد تكونُ فيهِ نَوْعُ جَهالةٍ، وربما كان ذَلِكَ شَديدًا عَظيمًا.

(1) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 2/378، والشّنقيطي، العذب النَّمير: 1/284.
(2) الشِّهاب الخفاجيّ، عناية القاضي وكفاية الرّاضي: 2/172.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثالث عشر، سورة الأعراف من الآية 14 إلى الآية 87
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة الأعراف من الآية 14 إلى الآية 87 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 13 ، 804 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-09-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 13 : سورة الأعراف من الآية 14 إلى الآية 87.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-09-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-6551762 بتاريخ 2023/12/20م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»